مجلة العلوم الإنسانية ——— عدد 20- ديسمبر 2003، ص.ص. 155-169

الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)

ملخص

يتناول هذا البحث الرحلات الاستكشافية الفرنسية داخل الصحراء الكبرى مركزا على الدوافع التي حفزت المستكشفين على التوجه إلى المنطقة وعلى العراقيل التي واجهتهم وهم يتوغلون داخلها.

أما الدوافع فمنها **الخاص** المتعلق بالمستكشفين أنفسهم كالمغامرة وارتياد المجهول والبحث عن الثراء، ومنها **العام** المرتبط بالتطورات الحاصلة في أوربا كالثورة الصناعية وما رافقها من تطور في وسائل النقل والمواصلات وتحسن تقنيات النشر والطباعة وظهور الجمعيات الجغرافية وتنامي التوسع الاستعماري.

وأما العراقيل فمنها **الطبيعي** المتصل بالصحراء كقساوة المناخ وندرة المياه ووعورة الطرق والمسالك ومخاطرها، ومنها **السوسيوثقافي** المتعلق بالدين واللغة والتقاليد والعادات.

د/ محمدو بن محمذن
قسم التاريخ
جامعة نواكشوط
موريتانيا

Résumé

Cette contribution aborde les récits des voyageurs français au Sahara en faisant ressortir les motivations des explorateurs et les difficultés qu'ils ont rencontrées au cours de leur pénétration.

Quant aux motivations, elles portent tantôt sur des raisons individuelles comme le goût de l'aventure, la recherche de l'inconnu et le souci d'enrichissement, tantôt sur les transformations vécues en Europe comme la Révolution industrielle et ses effets relatifs au développement des moyens de transport, de communication, la presse et l'édition, la multiplication des Sociétés de Géographie et l'accroissement du phénomène de l'expansion coloniale.

دأب الدارسون الذين تناولوا الحقبة الاستعمارية لمنطقة الصحراء الكبرى على تبني مقاربة –صريحة أو ضمنية- تعتمد التقطيع السياسي للحدود الموروثة عن الاستعمار، حتى وإن كانت تلك الحدود لاحقة على المراحل التي يتحدثون عنها من تاريخ المنطقة. وكان من نتيجة ذلك أن تلاشت شيئا فشيئا الرؤية التركيبية التي تسمح بامتلاك تصور منسجم لتاريخ المنطقة لصالح جملة من "التواريخ" "الوطنية" المفككة والمتناقضة المعطيات أحيانا.

ونحن إن كنا لا نماري في أهمية الحدود السياسية للدول –ولا نملك أن نفعل- فإننا نعتقد أن الحدود الطبيعية والبشرية تبدو في موضوع متعلق بالصحراء أكثر أهمية، وذلك لما للأبعاد الطبيعية والاجتماعية والثقافية فيها من قوة منحت الإقليم وساكنيه صفة الوحدة والتميز[1] وجعلت طرق تعامل الناس مع الوافد الأجنبي تكاد تكون متماثلة

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2003.

Pour ce qui est des écueils, ils sont parfois liés à la nature du terrain et aux conditions climatiques au Sahara caractérisé par les grandes chaleurs, la rareté de l'eau et la difficulté des déplacements, parfois liés à la spécificité anthropologique des habitants de la région, notamment la religion, la langue et les us et coutumes des populations.

على كامل امتداده بشكل تبدو معه معالم التقطيع السياسي وكأنها مجرد خطوط وهمية عاجزة عن التحكم في حركة التاريخ والناس.

ولا نعتقد أن من باب الوقوع في الرؤية التفكيكية لهذا المجال المتجانس طبيعيا وبشريا، أن نبحث –ولو مؤقتا- عن مرتكز إجرائي عليه نعتمد في قراءتنا لتاريخ الاستكشاف الأوروبي للصحراء على يد الرحالين والمستكشفين.

وإذا كان المؤرخ مطالبا –طبقا لمنطق فردينان بروديل- (Ferdinand Braudel) **"بأن يتناول الماضي من البوابة التي يعرفها أكثر"**[2] ، فلن يبدو غريبا أن ننطلق في قراءتنا من المجال الذي عرفه الفرنسيون بـ **"**بلاد البيضان**"** (Pays des Maures)[3] وهو المجال الذي ألفناه أكثر من غيره خلال دراسات سابقة[4].

وهكذا يبدو تأطير الموضوع محكوما بعوامل يتداخل فيها الذاتي والموضوعي مهما تشبثنا بمقولة **"الامحاء أمام الأحداث"**[5].

ومع ذلك فإننا نعتقد أن لهذا الخيار المبدئي وجاهته الموضوعية. ذلك أن الرقعة التي تحتلها بلاد البيضان مثلت عبر حقب مختلفة من تاريخها جزءا مهما (ومركزيا أحيانا) في تاريخ هذه الصحراء بحكم طبيعة الحراك الاجتماعي والثقافي والسياسي فيها، فضلا عن طبيعة مناخها؛ وهو ما يمنح هذه المنطقة في رأينا صفة العينة التمثيلية طبيعيا وبشريا لهذه الصحراء التي استقبلت طوال القرن التاسع عشر مستكشفين حركتهم دوافع شتى وواجهوا خلال محاولات النفاذ إلى الداخل عراقيل جمة لم تثنهم عن التقدم في مشروع اكتشاف هذه المنطقة **"**الجديدة**"** من العالم القديم، فشكلت الرحلة الاستكشافية الأوروبية بذلك ظاهرة حضارية تعيد إلى الذاكرة – ولو في الاتجاه المعاكس- تجارب الرحالين العرب المحترفين؛ فمن هو المستكشف؟ وبم يختلف عن الرحالة؟ ومتى تستحق الرحلة هذا الوصف؟

يعرف صاحب **القاموس المحيط** كلمة "مستكشف" بأنها مشتقة من: **"استكشف عنه: سأل أن يكشف له عنه..."**[6].

أما المكتشف بالنسبة لمؤلف **المعجم الوسيط** فهي مشتقة من: **"اكتشف الأمر: كشف عنه بشيء من الجهد"**[7]. ويضيف هذا المؤلف للمكتشف عنصر السبق، إذ يقول: **"اكتشف** [مكتشف] **الشيء: كشف عنه لأول مرة"**[8].

ويعرف **المعجم روبير** المستكشف (explorateur) بأنه **"شخص يقوم باستكشاف بلد بعيد وعر الطريق أو غير معروف"** [9].

أما المستكشف في سياق هذا البحث فهو ذلك الأوربي الذي يتمكن من الوصول إلى منطقة لم يطأها قبله أي أوربي آخر، منطقة ما تزال مجهولة بالنسبة للأوربيين، وقد تمثل محاولة الوصول إليها أو عبورها خطرا على حياة ذلك المستكشف[10].

إن المستكشف (أو المكتشف)، على العموم، هو ذلك المسافر الذي يجوب منطقة من العالم ما تزال مجهولة بهدف اكتشافها.

وأما الرحالة حسب صاحب **المعجم الوسيط "فهو الكثير الرحلة"**[11] والارتحال والترحل. وبالنسبة **للمعجم روبير** فالرحالة (voyageur) **"هو الشخص الذي يسافر لمشاهدة بلدان عديدة بهدف اكتشافها ودراستها"**[12].

وإذا كانت بعض المعاجم الحديثة تورد، في بعض الأحيان، عبارتيْ مستكشف ورحالة مترادفتين، فإننا نعتقد أن المستكشف هو الذي يستكشف منطقة جديدة كانت قبله مستعصية على نظرائه. أما الرحالة فهو ذلك المسافر الكثير الشغف بالأسفار والترحال والذي يزور مناطق عديدة من أجل وصفها ودراستها بغض النظر عن عنصر السبق. فقد يكون الرحالة مسكتشفا، إذا كان يسير في مجال لم يكتشفه قبله أحد أقرانه. أما المستكشف فلا نعتبره رحالة إلا إذا امتهن الترحال والتنقل وقام بعدة أسفار من ضمنها على الأقل رحلة طويلة تستهدف وصف ودراسة المناطق المزورة.

وتعني الرحلة انتقال الإنسان من موطنه الأصلي إلى أقطار وبلدان بعيدة بغية ارتيادها فاكتشافها ثم وصفها. إنها من هذا المنطلق تفاعل بين الذات الواصفة (الرحالة) والآخر (الموصوف)، فهي إذن، محاولة لجمع بعض الانطباعات والتصورات العامة عن قوم آخرين، محاولة لتقديم صورة ما عن "الغير"، هذا "الغير" الذي ظل مصدرا لإثارة خيال وأحلام الإنسان الأوربي الذي امتاز منذ بداية الفترة الحديثة بحب الاطلاع مدفوعا بروح المغامرة وبشغفه بالعلم والمعرفة على اعتبارها "القدرة والسلطة"[13]. ومن هنا كانت الكشوفات الأوربية الحديثة وسيلة إلى "معرفة العالم قصد السيطرة عليه".

ومع ذلك فقد ظلت الرحلات تمثل نمطا من التفاعل والحركة، فهي انتقال من مكان إلى آخر ومخالطة ومعايشة لقوم آخرين بغية وصف حياتهم، كما أن حرص الرحالين على رصد وقائع حياة السكان اليومية في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة قد أعطى للرحلات قيمة مصدرية مهمة بغض النظر عن موضوعية المعلومات المسجلة في تلك المصادر أو ذاتيتها.

فالاتصال المباشر بالمكان والإنسان ومعاينة الظواهر الموصوفة من الشروط المساعدة على موضوعية وصدق الوصف، فقبل حوالي ألف سنة من الآن أدرك الرحالة والمؤرخ أبو الريحان البيروني أهمية المعاينة المباشرة حين افتتح أحد أهم مؤلفاته بقولته المشهورة: **"إنما صدق القائل: ليس الخبر كالعيان، لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله"**[14].

وهكذا تستمد الرحلة أهميتها وقيمتها من اتصال الرحالة اتصالا مباشرا عن طريق "العيان" وليس عن طريق "الخبر" بوقائع الحياة اليومية موضوع الرحلة.

ولا تقتصر قيمة الرحلات على الارتباط بالجغرافيا ارتباطا يكاد يكون عضويا، وعلى كونها مصدرا تاريخيا بالغ الأهمية، بل إنها ذات اتصال بالأبعاد الاجتماعية والفلسفية والسياسية والتربوية...إلخ[15].

ومن هنا فإن ظاهرة الرحلة قديمة قدم البشرية ذاتها، فقد عرف الإنسان الرحلة والترحال منذ أقدم العصور. وعبر الرحلة اكتشف الإنسان تدريجيا موطنه وهو الكوكب الأرضي الذي منحه مجالا رحبا للتنقل والارتحال، فمكنه ذلك من ملاحظة انتشار

البشر عبر مختلف بقاع المعمورة مع تنوع أجناسهم واختلاف أنماط حياتهم وصروف عيشهم؛ هذا الاختلاف الذي شكل واحدا من أقوى الدوافع المؤدية بالقوي –على مر العصور- إلى محاولة اكتشاف المتخلف (وربما إخضاعه وتنميطه) كما هو الحال في رحلات الاستكشاف الاستعمارية خاصة منها بالرحلات الفرنسية إلى منطقة الصحراء الكبرى.

أولا/ دوافع الرحلات الاستكشافية الفرنسية

فور انتهاء الحروب النابليونية استأنف الفرنسيون مهماتهم الاستطلاعية نحو القارة الإفريقية، التي غدت تستحوذ على المزيد من اهتمامات الأوربيين في مجال الاكتشافات الجغرافية. ولئن كانت مناطق أحواض الأنهار (النيل، الكونغو، النيجر، السنغال...إلخ) قد استقطبت، في البداية، جل اهتمامات المستكشفين والرحالين الأوربيين، فإن المناطق الداخلية الإفريقية، حظيت بدورها بدرجة لا بأس بها من حركة الاكتشافات تلك وخاصة منها الفرنسية.

ويمكن تقسيم دواعي وأسباب هذه الرحلات إلى نوعين أساسيين يتعلق أولهما بالرحالين والمستكشفين أنفسهم بينما يرتبط الثاني بالتطورات الحاصلة في أوربا.

1. الدوافع المتعلقة بالرحالين والمستكشفين

اختلفت دواعي وأهداف الرحلات باختلاف أصحابها والجهات التي تقف وراءهم. فمن بين الرحالين من كانت تدفعه المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب والخروج على المألوف، ومنهم من كان يحركه البحث عن مصادر الثروة والمال ويدفعه السعي إلى تحصيل المكاسب المادية من وراء المتاجرة أو للحصول على جائزة معينة.

ومن بين المستكشفين والرحالين كذلك من حدته دواع دينية واضعا على عاتقه مهمة التبشير بعقيدته عبر المزيد من البقاع المكتشفة، ومنهم من كان يقوده الفضول المعرفي وخدمة العلوم والجغرافيا إلى محاولة ملء الفراغات التي كانت إذ ذاك تميز المناطق الداخلية من القارة الإفريقية. ومن بينهم أخيرا من كانت تغريه نزعة سياسية استعمارية فيسعى إلى ارتياد مناطق جديدة خدمة لتجارة بلده أو سعيا إلى جمع المعلومات المختلفة عن المناطق المزورة تمهيدا للسيطرة عليها وإخضاعها وتطبيقا للقولة الشهيرة "تجب معرفة الناس للسيطرة عليهم وقيادتهم".

وانطلاقا من الأهداف والدواعي العامة السابقة الذكر، فإننا نجد من بين المستكشفين والرحالين رجال علم ودين وطوافين من هواة الأسفار والارتحال وآخرين استهوتهم المغامرة ودفعتهم المخاطرة ساعين إلى إماطة اللثام عن أحوال السكان والبلدان.

وتنطبق هذه الأهداف العامة على المستكشفين والرحالين الأوربيين الذين **"تركزت معظم مجهوداتهم في القرن الماضي** [التاسع عشر] **على القارة الإفريقية انطلاقا من محاور اهتمامات مختلفة كإشباع الفضول العلمي والتبشير الديني ومكافحة العبودية والغزو والاستعمار"**(16).

ونجد من بين هؤلاء المستكشف المحترف، وهو ذلك الذي يتبنى الترحال هواية ويقوم بعدة رحلات كبرى فيستحق بذلك أن يسمى رحالة. كما نجد منهم المسكتشف بالصدفة وهو الذي يأتي للاستكشافات صدفة كالناجي من تحطم سفينة أو الواقع في الأسر أو المأمور من طرف قائده العسكري أو مسؤوله الإداري بالقيام باكتشاف منطقة ما. وكثيرا ما تكون الاكتشافات "المأمورية" مخصصة لخدمة أغراض تجارية أو سياسية.

وتنطبق الأهداف السابقة على المستكشفين الفرنسيين بمن فيهم أولئك الذين توجهوا نحو بلاد البيضان في القرن التاسع عشر والذين أحصينا منهم تسعة عشر فردا من مدنيين مغامرين ومستخدمين تجاريين وضباط عسكريين وعلماء متخصصين.

ويمكن تصنيف هذه الجماعة إلى مستكشفين متمرسين (مدنيين وعسكريين)، وقد سميناهم "رحالين محترفين" لامتهانهم الترحال وحبهم الأسفار، ولأنهم قاموا بعدة رحلات من ضمنها على الأقل واحدة مهمة. وتضم هذه الفئة من المدنيين كلا من موليين (Mollien)، كايي (Caillié)، رافنل (Raffenel)، باني (Panet)، ابن المقداد (Bou El Mogdad)، دولس (Douls)، صوليى (Soleillet)، بلانشي (Blanchet)، كروفل (Gruvel) وشودو (Chudeau).

أما من العسكريين فلا تضم سوى الضابط البحري ماج (Mage)، ذلك أن هذا الضابط، بالإضافة إلى رحلته عبر أرض البيضان الموريتانية، قد قام كذلك برحلة طويلة داخل السودان الغربي نشرت سنة 1868 تحت عنوان **"رحلة إلى السودان الغربي (السنغامبيا النيجر)"**[17].

أما الفئة الثانية فقد اعتبرنا أصحابها مجرد "مستكشفين" لأنهم اقتصروا على القيام بمهمات استكشافية محدودة لم ينجزوا أثناءها رحلة طويلة، ولأنهم جاءوا إلى الاستكشاف مأمورين لا محترفين.

ويندرج ضمن فئة المستكشفين هذه من العسكريين كل من كايْ (Caille)، فلكران (Fulcrand)، فينصان (Vincent)، بورل (Bourrel) وعلي صل (Alioune Sall)، ومن المدنيين كل من صولير (Soller)، دوني (Donnet) وفابير (Fabert)[18].

وإذا كانت المغامرة وارتياد المجهول والبحث عن الثراء واللجوء إلى ما وراء البحار فرارا من الحياة الروتينية في أوربا، عوامل تخص الرحالين والمستكشفين أنفسهم، فإن أسبابا تتعلق بالأوضاع العامة في أوربا بشكل عام وفي فرنسا بشكل خاص، قد تضافرت لتدعم العوامل السابقة الذكر مشجعة الرحلات الاستكشافية.

2. الدوافع المتصلة بالتطورات في أوربا

لقد كان للثورة الصناعية دور كبير في هذه الأسباب التي يمكن اعتبار أكثرها صلة بموضوعنا تلك المتعلقة بتطور وسائل النقل والمواصلات وتحسن تقنيات النشر والطباعة وظهور الجمعيات الجغرافية واستفحال حركة التوسع الاستعماري.

أ. تطور وسائل النقل والمواصلات

لقد مثل استخدام الطاقة البخارية في تحريك آلات المصانع وفي تسيير القاطرات والسفن إنجازا كبيرا من إنجازات الثورة الصناعية. وقد شجع هذا التطور على مد آلاف الكيلومترات من السكك الحديدية محدثا قفزة كبرى في مجال المواصلات البرية.

ولم تبق المواصلات البحرية بمنأى عن هذه التطورات، إذ أن توليد الطاقة البخارية كان قد مكن من استخدامها في مجال تسيير السفن والبواخر وفي صناعتها أيضا. فعرفت المواصلات البحرية وثبة لا تقل أهمية عما عرفته المواصلات البرية. وتطورت تقنيات ووسائل صناعة السفن حيث رأت النور سفن وبواخر تسير بالقوة البخارية وتتسع لآلاف المسافرين وباستطاعتها نقل عشرات آلاف الأطنان.

كما أن استخدام الطاقة البخارية المتولدة من الفحم والطاقة الكهربائية المتولدة من البترول شجع تطور الصناعات الحديدية فبدأ الحديد يحل تدريجيا محل الخشب في صناعة السفن. وأخذت السفن الجديدة، وهي أكثر مقدرة على مواجهة الكوارث المناخية، تحل محل السفن الشراعية، فبات الربط بين مختلف أنحاء المعمورة يتم بصورة أكثر سرعة وفي ظروف أكثر أمانا.

وكان من الطبيعي أن يساهم تطور وسائل النقل في أوربا وشيوع انتشار الآلة البخارية وكذلك استخدام الكهرباء والبترول ومشتقاته واختراع المحرك ذي الاحتراق الداخلي في تشجيع وتسهيل حركة الكشوفات الجغرافية وبالتالي الرحلات الاستكشافية.

ب. الطباعة

ومن التطورات الناجمة عن الثورة الصناعية أيضا ما يرتبط بوسائل وتقنيات الطباعة والنشر، إذ انتشرت المطابع وأدخلت تحسينات تقنية مهمة على الطباعة. كما تطورت صناعة الورق والحبر. وقد أدى كل ذلك إلى تخفيض تكاليف الطباعة وانتشارها مما سهل وسرع نشر الكتب والجرائد والمجلات.

وقد سارعت البورجوازية بتقديم الدعم للمؤلفين والأدباء مشجعة نشر وتعميم أفكارهم الداعية إلى التجديد والتغيير لأن ذلك يتطابق وفلسفة تلك الطبقة وطموحاتها، وهي طبقة صاعدة تسعى إلى تبوؤ المكانة التي يخولها لها امتلاك ناصية العلم والسيطرة على الموارد الاقتصادية.

وقد استفادت كتابات الرحالين والمستكشفين من هذه الوضعية، فتم الإسراع بنشرها لتتلقفها الأيدي وتتداولها بسرعة مما منحها شعبية كبيرة وربط بالتالي الرأي العام الغربي بالمستكشفين والرحالين. ولعل من الدال في هذا السياق أن نذكر بأن رحلة موليين سنتي 1818-1819 تم نشرها في السنة الموالية[19]. ثم نشرت للمرة الثانية سنة 1822. كما أن رحلة كايي عبر الصحراء التي استمرت من 1824 إلى 1828 قد نشرت سنة 1830[20]؛ وكذلك الشأن تقريبا بالنسبة لمختلف الرحلات والتقارير الاستكشافية، فهي إما أن تنشر في شكل مؤلف مطبوع[21] أو في إحدى المجلات المتخصصة التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر وتضاعفت على الخصوص في النصف الثاني من ذلك القرن، وذلك بتشجيع ودعم من الجمعيات الجغرافية.

ج. الجمعيات الجغرافية

بدأت هذه المؤسسات في الظهور خاصة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر[22]. وكما يتضح من تسمياتها فإن هذه الجمعيات التي أسسها بعض العلماء والباحثين والساسة كانت تهتم في المقام الأول بالدراسات والكشوفات الجغرافية عبر مختلف بقاع المعمورة وذلك حسبما يقال لملء الفراغات الموجودة حتى ذلك الحين خاصة في العديد من المناطق الإفريقية الداخلية.

وبعد هزيمة فرنسا سنة 1871 في حربها مع ألمانيا، يبدو أن استيقاظ الشعور القومي قد ولد موجة جديدة من الجمعيات الجغرافية في مختلف المدن الفرنسية. وكان لظهور الجمعيات الجغرافية المختلفة، دوره في دفع حركة الكشوفات الجغرافية تلك. فقد اضطلعت هذه الجمعيات بدور كبير حيث دعمت واحتضنت المستكشفين والرحالين، وبالذات أولئك المستكشفين المحتملين وهم الشباب المولعون بالرحلات والأسفار.

وقد تمثل ذلك الدعم والاحتضان في تقديم التمويلات اللازمة لبعض المستكشفين والرحالين وفي تخصيص بعض الجوائز المالية لمن يسبق إلى اكتشاف منطقة ما[23] هذا فضلا عن تزويد الرحالين والمستكشفين بالتوجيهات والإرشادات اللازمة وبالأدوات العلمية الضرورية.

وقد أسهمت هذه الجمعيات إسهاما فعالا، طوال القرن التاسع عشر، في تغطية أنباء الكشوفات الجغرافية فباتت تقارير ورحلات وأنباء المستكشفين تصل القراء في فرنسا فور انتهاء الرحلة. وهكذا لم يكد الرحالة ليوبولد باني مثلا ينهي رحلته بين السنغال والمغرب عبر الأراضي الموريتانية سنة 1850 ويقضي أربعة أشهر في فرنسا حتى نشرت *المجلة البحرية* نص رحلته تلك[24]. وبالطبع فإن ما انطبق على باني ينطبق على غيره من المستكشفين. فرحلة الضابط ماج إلى منطقة تكانت[25] التي انتهت سنة 1860 نشرت في السنة نفسها[26] ، وكذلك الشأن بالنسبة لرحلتي بورل[27] وفينصان[28] وغالبية الرحالين والمستكشفين الآخرين.

وكانت هذه الجمعيات الجغرافية تتلقف تقارير ورحلات المستكشفين وتسارع إلى نشرها في المجلات المتخصصة التي كانت تصدر في ذلك الوقت.

د. المجلات

ليس من الغريب أن يتصادف مجيء الرحالتين موليين وكايى إلى المنطقة مع صدور إحدى أهم تلك المجلات وهي "*حوليات الرحلات*"[29] ، لكن أهم تلك المجلات تبقى *"مجلة الجمعية الجغرافية الباريسية"* [30] التي بدأت الظهور بعيد ذلك بقليل سنة 1821.

وفي بداية العقد السادس من القرن، وهي الفترة التي تعتبر مرحلة القفزة النوعية في تاريخ الاكتشافات الفرنسية بالمنطقة (مرحلة القفزة المنسقة 1859-1862)، برزت إلى الوجود مجلتان لا يقل دورهما، في هذا المجال، عن دور المجلتين السابقتي الذكر. وهاتان المجلتان هما "*حول العالم*"[31] و"*المجلة الجغرافية*"[32].

كما لا يقل شأن "*المجلة الاستعمارية*"[33] عن شأن المجلات السالفة الذكر. وكانت تلك المجلة قد بدأت في الظهور منذ سنة 1843 وأخذت تسميات متعددة على مدار القرن فأصبحت تدعى "*المجلة الجزائرية الاستعمارية*"[34] بين سنتي 1859 و 1860 فـ "*المجلة البحرية الاستعمارية*"[35] بين سنتي 1859 و1861 ثم "*المجلة البحرية*" سنة 1896.

وقد أصدرت غالبية الجمعيات الجغرافية مجلات خاصة بها[36] على غرار مجلة الجمعية الجغرافية الباريسية.

وقد أسهمت مختلف هذه النشريات، بدورها، في تغطية وتشجيع حركة الاكتشافات التي أصبحت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مسألة تسابق مع الزمن بغية بسط السيطرة الاستعمارية على المنطقة.

هـ. التوسع الاستعماري

ومن أهداف الرحلات الاستكشافية الفرنسية خاصة أثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر يمكن أن نذكر دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في ذلك الحين. وهي السياسة الطامحة إلى السيطرة على البلاد الموريتانية بغية ربط المستعمرات الفرنسية جنوب وشمال هذه المنطقة (الجزائر والسنغال).

فدراسة السكان استهدفت سبر أغوار المجتمع البيضاني لمعرفة مكوناته ونقاط ضعفه بحثا عن منفذ يمكن الفرنسيين من النفاذ إلى نقاط الضعف تلك لتفكيك هذا المجتمع من الداخل ولإبعاد أية مقاومة من شأنها أن تواجه بجدية مشاريع إخضاع البلاد للاستعمار الفرنسي.

وفي هذا النطاق عزف الفرنسيون على وتيرة الصراعات العرقية مقسمين البيضان إلى عرب وهم "محاربون" "نهابون" يرفضون التعاون مع السلطات الفرنسية وبربر وهم "مسالمون" "معرضون للإبادة" ويقبلون التعاون مع الفرنسيين.

ومعلوم أن فرنسا قد تبنت، منذ احتلالها للجزائر، سياسة مبنية على اختلاق صراع عرقي بين البربر والعرب، وهي السياسة التي تعرض الجابري لها بالتحليل في بحث رصين[37] تناول أبعادها ونتائجها في المغرب الأقصى من خلال ما يعرف بـ"الظهير البربري".

يقول بول مارتي[38] (Paul Marty)، وهو أحد منظري ومنفذي السياسة الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة متحدثا عن هذا الموضوع: "إن غياب البربر شيء يؤسف له، ذلك أنهم لو أرادوا الصمود أمام الغزاة العرب فإن أعدادهم وثرواتهم تخولهم بسهولة قهر مجموعة النهابين هذه وطردها بعيدا أو استيعابها. إن الحضارة البربرية العملية والتقدمية أفضل من العادات العربية السلبية والعدوانية المتأتية من بداوة مستحكمة غير صالحة لأي تقدم جدي"[39].

وقد بالغ الفرنسيون في التركيز على تفكك المجتمع البيضاني والاضطراب السائد داخله وعجز الأمراء وشيوخ القبائل عن توفير الأمن والاستقرار; كل ذلك خدمة لتهيئة

الرأي العام الفرنسي وإقناعه بقبول الإقدام على عملية غزو البلاد وتحمل ما قد يتطلبه ذلك من الخسائر البشرية والمادية.

أما دراسة المكان فقد سعت، في المقام الأول، إلى جمع ما يمكن جمعه من معلومات عن الطرق والمسالك والمواقع الاستراتيجية لتمركز ومرابطة الوحدات العسكرية الفرنسية في المستقبل. ويرتبط بهذه المسألة التنقيب عن المياه وتحديد مواقعها نظرا لدورها في تموين أية بعثة أو فرقة عسكرية تنوي عبور المجال البيضاني. واهتمت هذه الدراسة كذلك بالموارد الاقتصادية للمنطقة وخاصة ثرواتها المعدنية المحتملة.

ويدخل في نطاق الرحلات الاستكشافية ذات المرامي الاستعمارية محاولات الفرنسيين عبور المجال البيضاني، ليس فقط للربط بين السنغال والجزائر سعيا إلى تعزيز الوجود الاستعماري الفرنسي، وإنما كذلك إلى مواجهة محاولات التوسع الإنجليزية والإسبانية والألمانية في المنطقة.

وإذا كانت هذه العوامل المختلفة قد شجعت ودفعت حركة الاستكشاف تلك، فإن ذلك لا يلغي الصعاب والعراقيل التي واجهها أولئك المستكشفون وهم يجوبون مناطق يشكل الدين والتاريخ، فضلا عن الجغرافيا، حواجز منيعة تفصلهم عن أرضها وسكانها.

ثانيا/ العراقيل

تنوعت العراقيل والعقبات التي اعترضت الرحالين الفرنسيين وهم يحاولون النفاذ إلى عمق المجال البيضاني. ومن تلك العراقيل ما هو طبيعي مرتبط بالموقع وبمعالم سطح الأرض الموريتانية وتكويناتها، ومنها ما هو سوسيو/ثقافي متأت من طبيعة المجتمع البيضاني نفسه.

1. العوائق الطبيعية

تكاد المنطقة تكون محمية من الناحية الطبيعية. وكما يقول أيدو (Eydoux) فإن **"سواحلها الأطلسية القاحلة وغير المضيافة كانت على مر العصور مقبرة للبواخر"**(40). فكم من سفينة جنحت وتحطمت على هذه السواحل فهلك ركابها أو وقعوا في أسر القبائل البيضانية، فهذه السواحل مثلت دور الحارس الأمين للمنطقة من جهة الغرب.

وقد ظل الأوروبيون حتى القرن الخامس عشر يخشون المخاطرة في هذه السواحل التي تمتاز بقوة التيارات المائية وقلة الأماكن الملائمة لرسو السفن، إذ يذكر فرنانديس (Fernandes) مخاوف الملاحين البرتغاليين والإسبان من اجتياز رأس بجدور، لأن من اجتازه لن يعود، فقد كانوا يعتقدون **"أنه لا يوجد بشر ولا مكان مأهول ولا أشجار ولا أعشاب خضراء وراء هذا الرأس"**(41).

ويشير كاتب الحوليات البرتغالي هذا إلى **"أن التيارات المائية قوية إلى درجة أن أي سفينة مرت من هناك [**تجاوزت رأس بجدور جنوبا**] لن تتمكن من العودة"**(42).

أما اختراق الصحراء الكبرى من الشمال فتصاحبه من جانب ثان صعوبات طبيعية أهمها ندرة (إن لم يكن انعدام) المياه وقساوة المناخ حيث ترتفع درجة الحرارة لتصل

حدا لا يستطيع الأوربيون تحمله إلا بشق الأنفس، إذ تتجاوز درجة الخمسين في بعض الأحيان. هذا فضلا عن عزلة المناطق الداخلية وبعدها وصعوبة التنقل عبر المنطقة لانعدام الطرق الآمنة والمعروفة.

وطبيعي أن يكون هذا المناخ وبالا على المستكشفين الأوربيين، ذلك **"أن رياح السموم التي تهب في إفريقيا وصحاريها القاحلة حيث لا ماء ولا مرعى، والعواصف الهوجاء** [تهب معظم فصول السنة] **قد أهلكت معظم الرحالين الذين حاولوا اجتياز هذه القارة"**[43]. ومن هنا فإن **"الصحراء** -كما يقال- **تفترس من لا تعرفه"**.

وإذا حاول الأوربيون النفاذ إلى داخل الصحراء الكبرى عن طريق الأنهار (السنغال، النيجر، الكونغو ...إلخ.) فإن عوامل طبيعية أخرى تقف لهم بالمرصاد. فأحواض تلك الأنهار ملأى بالبرك القذرة والمياه الملوثة وبالتالي بالحشرات الضارة والجراثيم والميكروبات التي تسبب أمراضا قاتلة كحمى الملاريا والحمى الصفراء والإسهال...إلخ. فالحمى وحدها عرقلت الاكتشافات في إفريقيا أكثر مما عرقلتها السيول العارمة والحيوانات المفترسة والنبال المسمومة. ويكفي أن نعرف أن نسبة 87 % من مرافقي الرحالة الاسكوتلاندي مانغو بارك[44] (Mungo Park) هلكوا متأثرين بالحمى قبل الوصول إلى نهر النيجر[45].

وقد ظلت الحمى حتى منتصف القرن التاسع عشر تفتك بالأوربيين كلما سولت لهم أنفسهم التوغل في إفريقيا.

ولن تكف القارة السوداء عن أن تكون **"مقبرة للرجل الأبيض"** إلا في سنة 1854، حينما استخدم الدكتور وليام بالفور بايكى (William Balfour Baikie) الكينين للمرة الأولى أثناء رحلته إلى النيجر[46].

لذلك يجزم الرحالة موليين في مقدمة رحلته بأن المناخ هو ألد عدو يواجه زائر المناطق الإفريقية الداخلية[47].

ولم يكن المستكشفون الغربيون عرضة لمواجهة الظروف الطبيعية القاسية فقط، بل إن التعامل مع السكان المحليين كان، في بعض الأحيان، أدهى وأمر، ذلك أن الرجل الأبيض لم يكن أبدا محل ترحيب هؤلاء السكان بحكم التمايز الاجتماعي والثقافي الواضح.

2. العوائق السوسيوثقافية

تضافرت جملة من العوامل الثقافية والبشرية بعضها يتصل بالدين والبعض الآخر باللغة. وقد مثلت هذه العوائق حواجز ساهمت في غلق المناطق الداخلية الإفريقية أمام التوغل الأوربي. **"فالإفريقيون كانوا دائما يخشون الاتصال بالأوربيين الذين لا يمثلون في نظر الأفارقة** [كما يقول ماجو: Mageau] **سوى تجار سيستغلونهم وصيادي بشر سيبيعونهم. ومع الأسف** [يضيف هذا الفرنسي] **فقد كان لتخوفاتهم تلك ما يبررها"**[48].

ومما زاد الأمر تعقيدا بالنسبة للتوغل الأوربي داخل الصحراء الإفريقية **"كون هذه المنطقة محاطة من جميع الجهات ببلدان اعتنقت شعوبها الإسلام ومن منطلق التزمت**

والخوف من الغزاة واجهت تلك الشعوب الأوربيين ممثلة عقبات كأداء لم تمكن إزاحتها إلا باستخدام العنف"[49].

ويدعم كافارل (Gaffarel) هذا الرأى مؤكدا **"أن هذا الحقد** [حقد الأفارقة على الأوربيين] **نما أيضا مع انتشار الإسلام في إفريقيا. فهذا الإسلام مثل بالفعل وما يزال يمثل في الوقت الراهن** [1905] **سدا منيعا أمام إدخال الحضارة الأوربية إلى القارة السمراء"**[50].

ولعل هذا ما جعل جل الأوربيين الذين يحاولون دخول المنطقة يتظاهورن باعتناق الإسلام وبالانتماء إلى أصول شرقية مخافة التعرض للتهلكة[51].

ومع ذلك فإن اكتشاف الصحراء كلف أوربا نسبة مرتفعة من الخسائر البشرية الناجمة عن مقاومة السكان، إذ أن **"حوالي نصف الرحالين الكبار الذين حاولوا استكشاف تلك الصحراء قد اغتيلوا على أيدي السكان المحليين"**[52].

وفضلا عن الحواجز الطبيعية والدينية فقد مثلت اللغة بدورها عقبة أمام المستكشفين الفرنسيين الذين يجهلون في غالبيتهم العظمى اللغة العربية، مما جعل تفاهمهم مع السكان البيضان مسألة مستعصية. ولم تسلم محاولات تجاوز هذا الحاجز (عن طريق اكتتاب مترجمين من السود) من الكثير من التعثر، ذلك أن أكثرية أولئك المترجمين لم تكن تتقن العربية في أي مستوى من مستوياتها، بل إن بعضهم لا يجيد الفرنسية ذاتها[53].

ولتذليل هذه العراقيل حاول الفرنسيون أحيانا التكيف مع الخصائص المحلية للبيضان. فهذا البارون روجي[54] (le Baron J.François Roger) الوالي الفرنسي على السنغال يقترح إرسال كل من رني كايى وليوبولد باني إلى بلاد البيضان لتعلم العربية والتقاليد المحلية قبل القيام برحلتيهما عبر الصحراء الكبرى.

كما أن الجنرال فيدرب[55] (Faidherbe) الوالي الفرنسي على السنغال اختار من بين مستطلعيه عبر المجال البيضاني ابن المقداد وعليا صل وهما سنغاليان مسلمان؛ فهل يعني ذلك أن فكرة الاستعمار الجديد قد انبثقت من مرحلة استكشاف ما وراء البحار وأن الأوروبي قد توصل منذ الرحالين الأوائل إلى ضرورة تغيير جلده حتى يتمكن من البقاء في المستعمرات ؟

الهوامش

1. Mohamed Fall Ould Bah, «Eléments d'une économie politique des «conflits» au Sahara Occidental: de Cheikh Melainine au Front Polisario», communication présentée au Panel : Le Sahara et sa périphérie comme espace de mouvance, .
2. Ferdinand Braudel, **Ecrits sur l'histoire**, Paris, Flammarion, 1969, p. 191.
3. تقع معظم أجزاء هذا المجال في البلاد الموريتانية دون أن يتماهى كلية مع الحدود الحالية لأي من دول المنطقة.
4. راجع أعمالنا المنشورة المتعلقة بهذا الموضوع:

- المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 2001،ص. 475 ؛

- وثائق من التاريخ الموريتاني (نصوص فرنسية غير منشورة)، ترجمة وتحقيق وتعليق، منشورات جامعة نواكشوط، 2000، 358 ص.؛

- "التراث الثقافي الموريتاني ونظرة الآخر (قراءة في أدبيات فرنسيي القرن التاسع عشر)"، (صص. 131-144) ضمن: **"فعاليات الندوة الدولية الأولى حول التراث الموريتاني"**، نواكشوط، 2000؛

- "التواصل بين البلاد الموريتانية والعالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر في مخيلة الآخر"، (ص. 155-197)، ضمن: **"التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين ودور موريتانيا فيه"**، الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)، 1999؛

- "المصادر الأجنبية للتاريخ الموريتاني المعاصر"، (صص. 21-41)، ضمن: **أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر** حول **"منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي"**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان (تونس)، سبتمبر، 1998؛

- "الرحالة الفرنسيون في القرن التاسع عشر ودورهم في تحريف التاريخ الموريتاني"، *حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية*، جامعة نواكشوط، العدد الثاني، نواكشوط، 1990، صص. 21-35؛

- "كتب الرحلات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر مصدراً للتاريخ الموريتاني"، *الوسيط* (مجلة المعهد الموريتاني للبحث العلمي)، العدد الثالث، نواكشوط، 1989، صص. 58-68.

5. يقول مارك بلوك: **"**إن المؤرخ، أي العالم بعبارة أخرى مدعو إلى الامحاء أمام الأحداث**"**
"Le savant, l'historien en d'autres termes, est invité à s'effacer devant les faits", voir: Marc Bloch, **Apologie pour l'histoire ou métier d'historien**, Paris, Armand Colin, Cahier des Annales, 1949, p. 69.

6. الشيخ مجد الدين بن محمد الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، 4 أجزاء، دار الفكر، بيروت، 1983، ص.، مادة كشف.

7. إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، جزءان، المكتبة العلمية، طهران، د.تا.، ص.، مادة كشف.

8. **المرجع السابق**، مادة كشف.

9. L'explorateur: "Personne qui explore un pays lointain, peu accessible ou peu connu.", voir, Robert, **Le Petit Robert, Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française**, Paris, 1990.

10. Numa Broc, «**Les explorateurs français au XIXème siècle**», Paris, *Revue Française d'Histoire d'Outre Mer*, t. LXIX, n°256 (1982), pp. 237-273 et n°257 (1982), pp. 323-359, p. 256-257.

11. إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، مادة رحل.

12. Le voyageur: "Personne qui voyage pour voir de nombreux pays (dans le but de découverte, d'étude...)", voir, Robert, **Le Petit Robert**, op.cit.

13. Le savoir c'est le pouvoir.

14. أبو الريحان بن أحمد البيروني، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، 1958، ص. 1.

15. معن زيادة، **"تقديم"**، ***الفكر العربي المعاصر***، العدد 51 السنة 9، يونيو 1988، صص.4-8، ص.7.

16. Michel Mourre, Dictionnaire encyclopédique d'histoire, Paris, Bordas, 1986, 8 v., t.-3., (découverte).

17. Eugène Mage, **Voyage dans le Soudan occidental (Sénégambie-Niger) 1863-1866**, Paris, Hachette, 1868.

18. للمزيد من المعلومات عن هؤلاء المستكشفين والرحالة، يمكن الرجوع إلى عملنا: **المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)**، مرجع سابق.

19. Gaspard-Théodore Mollien, **Voyage dans l'intérieur de l'Afrique et aux sources du Sénégal et de la Gambie, fait en 1818 par ordre du Gouvernement français**, Paris, Imprimerie de Madame Veuve Courcier, 1820, 2 t., Deuxième Edition, Paris, 1822 Arthus Bertrand, 2 t.

20. René Caillié, **Journal d'un voyage à Tombouctou et à Jenné dans l'Afrique centrale**, précédé d'observations faites chez les Maures Braknas, les Nalous et les autres peuples pendant les années 1824, 1825, 1826, et 1829 avec une carte itinéraire et des remarques géographiques, par M. Jomard, Paris, Imprimerie Royale, 1830, 3 t. Dernière Edition, **Voyage à Tombouctou**, Paris, 1989, Editions La Découverte, 2 t., 291 et 373 p.

21. مثل رحلات رني كايى، آن رافنيل وإيجن ماج.

22. Dominique Lejeune, **Les sociétés de géographie en France et l'expansion coloniale au XIXème siècle**, Paris, Albin Michel, 1993.

23. خصصت الجمعية الجغرافية الباريسية جائزة عشرة آلاف فرنك لأول أوربي يصل تنبكتو ويعود منها ببعض المعلومات المهمة. وقد كانت هذه الجائزة من نصيب الفرنسي رني كايى، راجع بهذا الخصوص:

Edmé François, Jomard, Remarques et recherches géographiques sur le voyage de Caillié dans l'Afrique centrale, Imprimerie Royale, Paris, 1830, pp. 355-357.

24. Léopold Panet, "Relation d'un voyage du Sénégal à Soueira (Modagor)", Paris, Revue Maritime, novembre 1850, pp. 379-445 et décembre 1850, pp. 473-554.

25. هضبة مرتفعة نسبيا تتوسط البلاد الموريتانية, تحيط بها حافات شديدة الانحدار من أغلب الجهات. وكانت منطقة تكانت أثناء القرن التاسع عشر مجالا لسيطرة إمارة إدوعيش البيضانية. وتكانت الآن إحدى الولايات الموريتانية وعاصمتها مدينة تجكجه.

26. Mage, "**Voyage au Tagant (Afrique centrale)**", Paris, *Revue Algérienne et Coloniale*, t.-III, (juillet-décembre), 1860, pp. 1-29.

27. Dominique Bourrel,"**Voyage dans le pays des Maures Brakna, Rive droite du Sénégal (juin-octobre 1860)"**, Paris, *Revue Maritime et Coloniale*, t.-second, (septembre) 1861, pp. 510-545 et octobre 1861, pp. 11-77.

28. Henri Vincent (Capitaine d'Etat-Majorà) :

- "**Voyages d'exploration dans l'Adrar (Sahara occidental)**", Paris, *Revue Algérienne et Coloniale*, 3ème série, n°4, octobre 1860, pp. 445-494 ;
- "**Voyage et expédition au Sénégal et dans les contrées voisines. Voyage dans l'Adrar et retour Saint-Louis**", Paris, *Revue Tour du Monde*, 1860, pp.17-33 et pp.49-64.

29. Annales des voyages (1816-1865).

30. Bulletin de la Société de Géographie de Paris (1821-1865).

31. Tour du Monde (1860-1914).

32. Revue Géographique (1861-1875).

33. Revue Coloniale (1843-1859).

34. Revue Algérienne et Coloniale (1859-1860).

35. Revue Maritime et Coloniale (1861-1895).

36. نذكر منها مثالا لا حصرا:

- مجلة الجمعية الجغرافية لمدينة ليون (Lyon) وقد صدرت سنة 1874؛
- مجلة الجمعية الجغرافية لمدينة مارسيليا (Marseille) وقد صدرت سنة 1877؛
- مجلة الجمعية الجغرافية لمدينة مونبلييي (Montpellier) وقد صدرت سنة 1878؛

- مجلات الجمعيات الجغرافية لمدن نانت (Nantes)، تولوز (Toulouse) وليل (Lille) وقد بدأت الصدور سنة 1882.

37. محمد عابد الجابري، **"يقظة الوعي العروبي في المغرب: مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية"**، ضمن: **المغرب المعاصر, الخصوصية والهوية.. الحداثة والتنمية**، مؤسسة بنشره للطباعة والنشر، الدار البيضاء/المغرب، الطبعة الأولى، 1988، صص. 75-110.

38. أحد الإداريين الفرنسيين وهو من رواد المدرسة الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة (تونس، الجزائر، المغرب وموريتانيا)، شغل منصب رئيس مصلحة الشؤون الإسلامية بمستعمرة السنغال، وقد نشر ثلاثة عشر كتابا تتضمن نتائج عمله في الاستخبارات بالمنطقة. يذهب إبراهيم بو طالب إلى أنه "صانع الظهير البربري في المغرب سنة 1930". راجع: إبراهيم بو طالب، **"البحث الكولونيالي حول المغرب العربي: حصيلة نقدية"**، ضمن: **البحث فى تاريخ المغرب. حصيلة وتقويم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، الرباط، 1989، صص.107-173، ص. 131.

39. النص الحرفي لهذا الاستشهاد هو:

"Cet effacement des Berbères paraît tout à fait regrettable. Sils avaient voulu résister fermement aux envahisseurs, leur nombre et leurs richesses leur permettaient facilement de dompter ces quelques pillards et de les rejeter au loin ou les assimiler. La civilisation berbère, pratique et progressiste, valait bien les coutumes arabes, négatives ou oppressives, issues d'un nomadisme invétéré, impropre à toute évolution sérieuse.", Paul Marty, **L'Emirat des Trarza**, Paris, Editions Larose, 1919, 483 p., p. 23.

40. Henri-Paul, Eydoux, L'exploration du Sahara, Paris, Gallimard,1938, 242 p, p. 12.

41. Valentim Fernandes, Description de la Côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal (1506-1507). Introduction, texte portugais, traduction et notes de P. de Cenival et Th. Monod, Paris, Larose, 1938, 215 p., p. 41.

42. Fernandes, Description de la Côte..., op.cit., p. 43.

43. A. Mageau, In : Introduction de Paul Gaffarel, Histoire de l'expansion coloniale de la France depuis 1871 jusqu'en 1905, p. 8.

44. مانكو بارك (1771-1806), طبيب جراح ومستكشف اسكوتلاندي. قام بمهمتين استكشافيتين لنهر النيجر، أولاهما خلال سنتيْ 1795 و 1797، والثانية بدأت سنة 1805 وتوفي أثناءها في بوصا بنيجيريا.

45. Hubert Deschamps, L'Europe découvre l'Afrique. Afrique Occidentale (1794-1900), Editions Berger-Levrault, Paris, 1967, p. 249.

46. R. Hall, Découverte de l'Afrique, traduit de l'anglais par S. Dubois, Paris, Librairie Larousse, 1971, p. 95.

47. Mollien, Voyage…, op.cit., p. VIJ.

48. Mageau, op.cit., p. 9.

49. Eydoux, op.cit., pp.12-13

50. Paul Gaffarel, Histoire de l'expansion coloniale de la France, op.cit., p. 9.

51. نشير هنا خاصة إلى الرحالة رني كايى وليوبولد باني وكاميل دولس.

52. Eydoux, op.cit., p. 21.

53. لم تكن غالبية المترجمين السنغاليين الذين اكتتبتهم الإدارة الفرنسية بالسنغال في ذلك الوقت تتقن العربية ولا الفرنسية، مما انعكس أحيانا على دقة وصحة الوثائق المترجمة. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن اثنين من أفراد أسرة ابن المقداد (التى احتكرت وظيفة الترجمة للولاة الفرنسيين على السنغال منذ منتصف القرن التاسع عشر) هما عبد الله سك ودود سك، قد عينا مترجمين لدى الوالي الفرنسي العام وهما يجهلان -وقت تعيينهما- اللغة الفرنسية. راجع: Bou El Mogdad, **Notes autobiographiques de Doudou Seck**, 35 p..

54. البارون روجي (1787-1849): شغل منصب الوالي الفرنسي على السنغال بين سنتيْ 1821 و 1827. وبعد عودته تابع اهتمامه بشؤون المستعمرات حيث شغل منصب رئيس لجنة الجزائر والمستعمرات بالبرلمان الفرنسي ونائب رئيس الجمعية الجغرافية الباريسية.

55. الجنرال فيدرب (1818-1889): يعتبر هذا الضابط من أكثر الفرنسيين اهتماما بنشر الاستعمار الفرنسي في منطقة السنغامبيا والصحراء الكبرى. فبعد أن بدأ خدمته بالجزائر (1842-1847, 1849-1852) حول إلى السنغال سنة 1852 ليعين حاكما فرنسيا عليها بين سنتي 1854-1861 للمرة الأولى وبين سنتي 1863-1865 للمرة الثانية. وفي نطاق مساعيه لنشر السيطرة الفرنسية أشرف هذا الوالي على العديد من البعثات الكشفية إلى المنطقة وتصارع مع السكان المحليين وخاصة البيضان وسعى إلى تنظيم شؤون مستعمرة السنغال. □